النشاط العمراني في الموصل خلال العصور الاسلامية المتقدمة

(١٦-١٦٧هـ / ٦٣٧-٧٨٣م)

أ.م.د. ادريس سليمان محمد

جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم التاريخ

(قدم للنشر في ٢٠١٨/١١/٤ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٢/٤)

ملخص البحث:

البحث اشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة, عالج المبحث الأول النشاط العمراني في الموصل في العصر الراشدي, أما المبحث الثاني فتناول النشاط العمراني في الموصل في العصر الأموي, وتطرق خلال المبحث الثالث إلى النشاط العمراني في الموصل في العصر العباس الأول.

Architectural Activity in Mosul During Early Islamic Eras

(16-167A.H. / 637-783A.D.)

Abstract:

This research includes an introduction and three section and conclusion. Section one studied the architectural activity in Mosul during Rashid era. The second talks about the same matter during Umayyad era. The third does the same too but during the early Abbasid era.

المقدمة:

لعبت الموصل دوراً مهماً في التاريخ العربي الاسلامي, كونها احدى المدن العربية التي لها مكانتها التاريخية العريقة من جهة وموقعاً جغرافياً متميزاً من جهة أخرى, فهي تقابل مدينة نينوى عاصمة الآشوريين فاصبحت وريثتها, ومرت ادارة الموصل بعدة مراحل وتطورات كثيرة كونها كانت مركزاً ادارياً مهماً منذ أزمان سحيقة [١] . وبعد ان تم فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٤هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) في سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م) تنبه الخليفة عمر (رضي الله عنه) إلى خطورة موقعها فاتخذها مركزاً للفتوحات الاسلامية وأمر عامله هرثمة بن عرفجة البارقي بتمصيرها واسكانها العرب [٢], ثم جعلت مركزاً من مراكز أجناد الدولة [٣] .

اصبحت الموصل من المدن العربية الاسلامية الكبيرة لكثرة القبائل العربية التي سكنتها فضلاً عن القبائل العربية القادمة مع جيوش الفتح كمقاتلين [٤], وما أعقب ذلك من اهتمام الخلفاء الامويين والعباسيين في تخطيط المدينة واعمارها وحرصهم على تعيين الولاة عليها بأنفسهم, واتخاذهم لهذه المدينة قاعدة لبلاد الجزيرة الفراتية, كل ذلك جعلهم يهتمون بعمارتها, التي توسعت على مر العصور, وأصبحت من الحواضر المهمة وسنعرض ذلك النشاط العمراني من خلال بحثنا هذا وعلى ضوء الحقب التاريخية المتسلسلة.

المبحث الأول: النشاط العمراني في الموصل في العصر الراشدي:

اصبحت الموصل بعد الفتح الاسلامي لها احدى الولايات المهمة في عصر الخلفاء الراشدين, وتولى أمر ولايتها في البداية عدد من الولاة الذين ساهموا في تحريرها وكان أغلبهم ممن يتمتعون بالقدرة والكفاءة الادارية والعسكرية, مما جعل ولاية الموصل تعيش في وضع مستقر ورخاء اقتصادي وتقدم عمراني [٥] .

فكان أول من تولى ولاية الموصل بعد تحريرها ربعي بن الافكل العنزي الذي كان على رأس الجيش الذي حرر الموصل سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م)[٦], كما عمل معه على الخراج هرثمة بن عرفجة البارقي, ثم عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بولاية الموصل إلى عتبة بن فرقد السلمي سنة (٢٠هـ/ ٦٤٢م) ليقوم بمهمة اعادة الامن والنظام فيها [٧] وكان من الولاة المحبين للإصلاح فبنى أول مسجد جامع فيها ويقع اليوم في منطقة سوق الشعارين ويسمى جامع المصفى حالياً, وبنى إلى جانبه دار الامارة وعين منازل بعض العرب الواردين إلى الموصل [٨] .

وعين الفاروق (رضي الله عنه) على الموصل سنة (٢٢هـ/ ٦٤٢م) هرثمة بن عرفجة البارقي بعد ان عزل عتبة عن ولايتها [٩], واستمرت ولايته للموصل حتى عام (٢٤هـ/ ٦٥٤م) حينما قام الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٤-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٥م) بتعيين حكيم بن سلامة الخزامي والياً على الموصل[١٠] .

لقد اتاحت المدة الطويلة التي عمل فيها هرثمة البارقي في ادارة الموصل المجال والخبرة لتحقيق الكثير من المنجزات في شتى الأعمال الادارية والعمرانية, لذا اقترن أمر تخطيط الموصل وتعميرها باسم هذا الوالي [١١], فكان هرثمة أول من اختط الموصل واسكنها العرب ومصرها, كما ذكر البلاذري[١٢] ان الموصل كان بها حصن وبيع للنصارى ومنازلهم عند تلك البيع وهي قليلة ومحلة لليهود فمصرها هرثمة فانزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع, بعد ان توسعت المدينة وكثر سكانها وضاق بهم المسجد الذي بناه عتبة بن فرقد السلمي بالمصلين فوسعه البارقي [١٣] .

لقد سار حكيم بن سلامة الخزامي الذي تولى ولاية الموصل سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م) في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على خطة هرثمة بن عرفجة البارقي في توطين العرب المهاجرين [١٤] . يبدو ان الولاة الذين تولوا ادارة الموصل من بعد هرثمة وحتى نهاية العهد الراشدي لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئًا عن اعمالهم الادارية او تعمير المدينة, وهذا يعني أنهم ساروا على النهج الذي وضعه هرثمة في تخطيط المدينة وتوسيعها وتوطين أبناء القبائل المهاجرة اليها من مختلف المناطق [١٥] .

لقد نالت الموصل اهتمام الخلفاء الراشدين وخاصة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لانه راى ما للموصل من موقع مهم فهي تقع في ملتقى طرق تصل بين جانبي الهلال الخصيب ومنها إلى أرمينية واذربيجان فجعلها من ثغور الكوفة الاربعة, حلوان وماسندان وقرقيسيا والموصل, ومنها خرجت الجيوش إلى اذربيجان وارمينية وغيرها [١٦] . وكانت الموصل في توسع دائم لكثرة من هاجر اليها من القبائل فنشطت فيها التجارة والزراعة والعمران وبلغ خراجها أربعة ملايين درهم في السنة [١٧] . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كانت تتمتع به من فعالية اقتصادية عالية.

المبحث الثاني: النشاط العمراني في الموصل في العصر الأموي:

ان ادارة الموصل مرت بمراحل وتطورات كثيرة لكونها كانت مركزاً ادارياً مهماً للاسباب التي ذكرناها . وازدادت هذه الأهمية في العصر الأموي, وليس أدل على هذه الأهمية من اهتمام الأمويين بالموصل وحرصهم على تعيين الولاة عليها بأنفسهم [١٨], لا

سيما ان معظمهم من أبناء البيت الأموي, واهتمامهم بالجانب العمراني والتخطيطي للمدينة وتجميلها على أيدي ابنائها العرب الذين عنوا بعمارة مدينتهم [١٩], رغم تأثر هذا النشاط بالاضطراب السياسي, وعدم الاستقرار في احوال الدولة العامة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان وفي أواخر العهد الأموي, كل ذلك أثر على السلطة الأموية في الموصل كما هو الحال في كثير من ولايات الدولة الأخرى.

ومن ضمن هذا النشاط الفني في الموصل ما قام به الوليد بن تليد العبسي من فرش طرق الموصل بالحجارة في عهد صاحب شرطتها محمد بن مروان والذي تولى (أي محمد بن مروان) ولاية الموصل والجزيرة الفراتية وارمينية واذربيجان [٢٠], وأهتم محمد بن مروان بالموصل ويبدو ان ذلك يرجع لخبرته بالموصل والجزيرة الفراتية إذ انه كان قد توجه إلى الجزيرة الفراتية بجملة في عهد والده مروان بن الحكم سنة (٦٥هـ/٦٨٥م) قبل ان يسير الاخير إلى مصر [٢١] .

وقام محمد بن مروان كذلك باصلاحات اخرى في الموصل فشرع ببناء سور لها سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م) في عهد أخيه عبدالملك بن مروان [٢٢], للاماكن التي امتدت اليها العمارة, ونقل اليها – أي إلى الموصل – عدد من القبائل العربية مثل الازد وربيعة من البصرة وعين خططهم ومنازلهم [٢٣] .

عهد عبد الملك بن مروان ولاية الموصل إلى ابنه سعيد ليفسح المجال لأخيه محمد بن مروان بالتفرغ لمواجهة الأخطار على الحدود الشمالية للدولة في أرمينية واذربيجان [٢٤] . ومن خلال هذه التولية يمكن ملاحظة الاتجاه العام لسياسة الخلفاء الأمويين التي ساروا عليها تجاه ولاية الموصل وادارتها بأنهم عهدوا ادارتها في غالب الاحيان إلى اقرب رجالات البيت الأموي لما كان يتمتع به الوالي حينها من صلاحيات واسعة في ولايته ولما كانوا يولون من أهمية لهذه المدينة كونها كانت مركزاً مهماً من مراكز الفتوحات وقاعدة انطلاق الجيوش في تلك المنطقة [٢٥] .

وما أن تولى سعيد بن عبدالملك الملقب بـ(سعيد الخير) لحبه الخير والاصلاح ولعفته عن ما في أيدي الناس وزهده منها حتى قام باصلاحات وجهود عمرانية كبيرة من أجل تطوير وخدمة المدينة, فسعى في تنظيم خططها وشوارعها وبنى فيها سوقاً عرف بـ(سوق سعيد) وأنشأ مسجداً عرف بـ(مسجد عبيدة) نسبة إلى مؤذنه, وأهتم بأكمال وبناء سور الموصل وتوسيعه [٢٦] .

ولم يقف سعيد الخير عند هذا الحد مما قدمه من اعمال لهذه المدينة بل حاول تطوير المناطق النائية الواقعة خارجها فنسب اليه نهر سعيد [٢٧], واستمر سعيد والياً على الموصل إلى ان عزله الخليفة عمر بن عبدالعزيز عندما تولى الخلافة سنة (١٠١هـ/

٧٢٠م) الذي كتب إليه بتسليم ولاية الموصل إلى يحيى بن يحيى الغساني والقدوم عليه في دمشق [٢٨] . وبقي يحيى الغساني والياً على مدينة الموصل إلى ان توفي الخليفة عمر بن عبدالعزيز [٢٩] .

تغيرت السياسة العامة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز وانعكست ذلك على الادارة في كل اقاليم وولايات الدولة ومنها الموصل, حيث جاءت اوامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى الوالي يحيى بن يحيى الغساني بالرجوع إلى ما كان قد قرره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في أمر الجزية وجاء ذلك في الكتاب الذي أرسله إلى واليه في الموصل يحيى بن يحيى الغساني وجاء فيه ((ان أعدل ديه الموصل, على الغني ثمانية واربعون درهماً, وعلى الوسط أربعة وعشرون, وعلى الفقير اثنا عشر درهماً)) [٣٠]؛ وهذا يعني ان الخليفة عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) ألغى الترتيبات المالية المخالفة في جباية الضرائب التي أقرت من قبل خلفاء سبقوه لكونها مختلفة لما أقره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ولم يكتف بهذا بل أمر واليه يحيى الغساني أن يأخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة ويتجنب ان يأخذهم بالظن [٣١] .

وقد أدت اجراءات الوالي يحيى الغساني إلى نتائج ايجابية, لما قدمته من اصلاحات مالية وعمرانية, واجتماعية, فاصبحت (الموصل) من أصلح المدن, وأكثرها أماناً [٣٢], بعد القضاء على ظاهرة السرقة التي كانت متفشية فيها, وحينها وصف الوالي الغساني هذه المدينة عندما تولاها, وما آلت اليه بعد ذلك عندما قال: ((عندما ولاني عمر بن العزيز (رضي الله عنه) الموصل فوجدتها من اكبر البلاد سرقاً ونقباً [٣٣] فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد وأسأله آخذ من الناس بالمظنة واضربهم على التهمة أو اخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس, فكتب الي ان آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة, فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله, قال: فعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانا أصلح البلاد سرقاً ونقباً)) [٣٤] .

ومن الانشطة العمرانية أيضاً ما قام به هشام بن عبدالملك عندما سكن الموصل قبل ان يلي الخلافة فاشترى في قطائع بني وائل جزيرة لقوم يعرفون ببني (بريضة) من الازد وبنى فيها قصراً جميلاً سكن فيه وبقي القصر والبستان إلى زمن العباسيين [٣٥] . وكان لسكن هشام ابن عبدالملك الموصل قبل توليه الخلافة فائدة كبيرة للموصل حيث ازداد مكانة المدينة عنده عندما عرف ما لهذه المدينة من أهمية وما فيها من القبائل العربية الكريمة, فلما تولى الخلافة سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٤م) أهتم كثيراً بالموصل ولهذا وقع اختياره على أجل أمراء بني أمية شجاعة وكرامة وهو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم وهو أخ لزوجة الخليفة هشام واسمها (أم

حكيم بنت يوسف), ونرى ان هذا الاختيار كان مقصوداً لما كان يتمتع به الحر بن يوسف باهتماماته الشديدة بالادارة والعمران ولاسيما أثناء ولايته لمصر سنة (١٠٥–١٠٨هـ/ ٧٢٤–٧٢٦م) [٣٦], ليس هذا فحسب بل لما ولى هشام الحر بن يوسف الموصل قالت له زوجته أم حكيم: ((تولي أخي الموصل, وما قدرها ؟ . فقال لها هشام: يا أم حكيم أما يرضي أخوك ان يصلي خلفه الهرائمة)) [٣٧] يعني ولد هرثمة بن عرفجة البارقي.

ومن أول أعمال الحر بن يوسف العمرانية (قصر المنقوشة) الذي أتخذه داراً لسكناه ودار امارة وسميت بالمنقوشة لان الحر بن يوسف ابتناها وعني بزخرفتها ويقع قصر المنقوشة في سوق القتابين [٣٨], ممتدة إلى سوق الشعارين وسوق الاربعاء ثم سوق الحشيش[٣٩], وبقيت آثارها شاخصة إلى القرن السابع للهجرة, محافظاً على بعض ما كان فيه من روائع الفن [٤٠] .

لم تنته مهمة الحر بن يوسف ببناء القصر بل عُهد اليه القيام بمهمة أساسية أجلُّ من الاولى لان فيها انعاش لحياة أهل الموصل بتوفيره الماء لهم عن طريق حفر قناة تتفرع من نهر دجلة أطلق عليها اسم نهر الحر أو النهر المكشوف الذي يمر وسط الموصل, وكان سبب انشاء هذا المشروع يرجع إلى صعوبة ما كان يلاقيه أهل الموصل من المشقة في نقل الماء من دجلة [٤١] . فجمع الحر بن يوسف الصناع وأهل الهندسة وأحضر ما يلزم من الآت الحفر[٤٢], وانفق فيه أي على هذا المشروع الضخم واردات الموصل ولكن المنية عاجلته قبل ان ينهي المشروع في سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م) فتولى الموصل ابنه يحيى ولم يحسن ادارتها فعزله الخليفة هشام [٤٣], وعين على الموصل الوليد بن تليد العبسي سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م) وأمره ان يستمر في اكمال المشروع وهذا يدل على انه كان أي الخليفة يتابع عمل هذا المشروع ويطلب الاسراع في استكماله فاستمر العمل به إلى سنة (١٢١هـ/٧٣٨) إلى ان تم انجازه وذكروا انه انفق عليه ثمانية ملايين درهم [٤٤] .

لقد تأثر النشاط العمراني في الموصل في العصر الأموي تأثراً مباشراً بحركات الخوارج التي كانت تقوم بها القبائل التي تقطن بلاد الجزيرة والموصل ضد السلطة الاموية مما دفع الدولة إلى جعل الموصل ضمن الادارة المركزية مع ولاية الجزيرة الفراتية وارمينية واذربيجان, ولكنها ظلت قاعدة لبلاد الجزيرة الفراتية حيث اتخذها مروان بن محمد الذي تولى الموصل للمرة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن الوليد سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م) مركزاً ادارياً للمنطقة [٤٥], ومع ذلك لم يهمل مروان ادارة مدينة الموصل بل عمر مسجدها ووسعه ومد لها جسراً على نهر دجلة لتسهيل الاتصال بين جانبي المدينة.

وفي خلافة مروان بن محمد (١٢٧هـ/ ٧٤٤م) جعل على الموصل أميراً جديداً هو القطران بن أكمه الشيباني, ورغم قصر ولاية قطران للموصل فقد ترك أثراً بارزاً في المدينة تمثل في بناء خطة لقومه ومسجد عرف باسمه, ولكن لقي القطران هذا حتفه في مقاومته احدى حركات الخوارج التي هاجمت الموصل سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م) [٤٦] . وهكذا تعرقلت عمليات العمران أمام هذه الحركات وتوقفت حتى سقوط الدولة الاموية سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) .

المبحث الثالث: النشاط العمراني في الموصل في بداية العصر العباسي الأول

كان اقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من الاضطراب منذ اواخر العهد الاموي لمشاركة القبائل الموصلية وانضمامهم إلى الحركات الخارجية ضد الامويين رغم ان اكثرهم لم يكونوا خوارج في عقيدتهم, ليس هذا فحسب بل لعب أهل الموصل وخاصة فرسانهم وعلى رأسهم عامر بن اسماعيل مع كتيبة من الخيالة (الموصلية) دور بارز في انهاء مروان بن محمد , وفتحت مدينة الموصل بابها التي اغلقتها بوجه مروان بن محمد للشيعة العباسية واستقبلوهم بالحفاوة والترحيب, ولبس هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار العباسيين تعبيراً عن ولائهم للدولة الجديدة [٤٧] .

ولكن حتى بعد قيام الدولة العباسية بقي اقليم الجزيرة الفراتية وكذلك بلاد الشام موضعاً للاضطرابات ومستودعاً للمتاعب ضد الدولة العباسية [٤٨], لهذه الاسباب مجتمعة ولموقع مدينة الموصل الاستراتيجي ولقربها من حدود الدولة البيزنطية فقد حظيت المدينة باهتمام شديد من لدن الخلفاء العباسيين, وحاولوا انتهاج سياسة كسب ود أهل الموصل عن طريق تعيين ولاة قديرين معظمهم من الاسرة العباسية او رجالات الدعوة, لان الأمويين كانوا يتبعون نفس الاعتبارات في تعيين ولاة الموصل لان اهل الموصل لم يرضوا الا ان يكون الوالي عليهم من رجال العرب البارزين اومن البيت الاموي, ولهذا لما ولى عليهم ابو العباس محمد بن صول, فامتعض شيوخ القبائل ولم يرضوا به والياً فقالوا: ((أيلي علينا مولى خثعم))[٤٩] .

شهد اقليم الموصل والجزيرة الفراتية خلال العصر العباسي الاول سلسلة من حركات التمرد والعصيات التي كانت تهدد أمن الاقليم وسلامته. وكان لعدم الاستقرار هذه تأثير مباشر للنشاط العمراني, لان الاستقرار السياسي والعسكري هو العمود الفقري لقيام العمران وتطوره. ومع ذلك انتظمت ادارة الدولة منذ عهد

الخليفة ابو جعفر المنصور المعروف بحنكته السياسية وكفاءته الادارية, واتبع الخلفاء العباسيون تقليداً ادارياً جديداً حينما قاموا بزيارات تفقدية متعددة لمدينة الموصل للتعرف على المنطقة عن كثب والاطلاع على أوضاعها والوقوف على احتياجات سكانها ومشكلاتها وتفقد اعمال الولاة وسلوكهم. لقد زار ابو جعفر المنصور الموصل وأعمالها عدة مرات خلال الاعوام (١٤١-١٤٥هـ/ ٧٥٨-٧٦٢م) [٥٠] وعامي (١٤٩-١٥٠هـ/ ٧٦٦-٧٦٧م), وفي سنة (١٥١هـ/ ٧٦٨م) زار المنصور الموصل وأظهر عدم رضاه من قاضي الموصل الحارث بن الجارود وأمر بضربه عدة سياط في مدينة السن [٥١], فمات فيها [٥٢].

وزار الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) الموصل سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩م) عندما عزم مهاجمة الروم وكان يرافقه في هذه الزيارة ابنه هارون الرشيد, ونزلا بقصر أخيه المنصور, وقيل ان المهدي سار مع الرشيد مشيعاً له ومشرفاً على أمره وجيشه حتى بلغ الموصل [٥٣]. وفي سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) خرج الخليفة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م) قاصداً الموصل, فوصل حديثة الموصل وبلغه خروج الحسين بن علي بالحجاز فرجع مسرعاً إلى بغداد [٥٤]. أما الخليفة هارون الرشيد فقد قام بزيارة الموصل عدة مرات فقد زارها سنة (١٧٤هـ/ ٧٩٠م) وبنى فيها قصراً [٥٥] ثم زار المدينة سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)[٥٦] وأمر بهدم سورها لكثرة الخوارج والمتمردين في الاقاليم واحتمائهم بسورها . ونهج خلفاء بني العباس نهج سلفهم في هذه الزيارات المتكررة للموصل والجزيرة الفراتية عامة وحققوا فيها فوائد سياسية وادارية جمة [٥٧] .

لم يوفق الخليفة العباسي ابو العباس في تعيينه محمد بن صول مولى بني خثعم والياً على الموصل ولا في استبداله بوالٍ جديد هو يحيى بن محمد أخو الخليفة ابو العباس الذي أثبت هو الاخر فشله في ادارة الموصل, لانهما أساءا التصرف في معاملة أهل الموصل في بطشهم واستعلائهم في المعاملة, مما أعطى هذه المعاملة نتائج عكسية وخطيرة على الدولة العباسية في جميع نواحي الحياة, وهذا ما اعترفت به الخلافة نفسها على لسان واليهم على الموصل بعد يحيى بن محمد الامير اسماعيل بن علي عم الخليفة العباسي, فحاول الوالي الجديد ان يزيل آثار الظلم بسيرته الحسنة في معاملة أهل الموصل وكذلك برد المظالم ودفع ديات القتلى, فقال مخاطباً أهل الموصل: ((أنا أرد عليكم المظالم وأعطيكم ديات من قتله يحيى منكم)) [٥٨], وكتب إلى الخليفة يخبره بما حل بالموصل من الخراب والدمار الذي أحدثه يحيى فأجابه الخليفة: ((أن ارفق بالناس وتآلفهم)) [٥٩] .

يمكن ان نعتبر اسماعيل بن علي بن عبدالله عم الخليفة الذي تولى ولاية الموصل سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م) بعد عزل السفاح أخاه يحيى عنها من أبرز الولاة الذين شهدهم ذلك العصر, حيث قام اسماعيل هذا بسلسلة من النشاطات العمرانية لدرجة أنه لم يرسل إلى الخلافة من واردات الموصل درهماً واحداً طيلة ولايته, مما أدى إلى عودة الاطمئنان إلى نفوس الناس [٦٠], فعادوا إلى المدينة بعد ان هجروها, فتعطلت اسواق الموصل لخلو المدينة من الرجال, فأصلح اسماعيل حال أهلها حيث نقل اسواق الموصل إلى المقبرة سنة (١٣٧هـ/ ٧٥٤م) بعد ان كانت حول جامعها, ونقل المقبرة إلى الصحراء خارج الدروب, وابتنى المسجد المعروف بـ(أبي حاضر) والذي يعرف اليوم بمسجد الشالجي, وأنشأ في سوق الطعام فندقاً عرف بفندق اسماعيل, وحماماً عرف باسمه أيضاً [٦١], فكان الوالي اسماعيل بن علي من الولاة الذين سعوا في اعمار المدينة ونشر الأمن والاستقرار للسكان, فرجع الناس إلى بلدهم الموصل بعد ان كانت الحياة معطلة, لهذا أحبه أهل الموصل, وحج بالناس سنة (١٣٧هـ/ ٧٥٤م) وهو أمير الموصل [٦٢].

عزل المنصور عمه اسماعيل بن علي عن ولاية الموصل سنة (١٤٢هـ/ ٧٥٩م) وولى أمرها مالك بن الهيثم الخزاعي بعد ان قوي مركز ونفوذ اسماعيل بن علي فتخوف منه وكانت مخاوف الخليفة في محلها حين رفض اسماعيل تسليم الولاية للوالي الجديد مالك بن الهيثم [٦٣]. ولقد أثنى المؤرخون على مالك فقالوا: كان خير أمير وانصفهم, وكان أحد نقباء بني العباس ودعاتهم ولم يزل والياً على الموصل إلى ان عزله ابو جعفر المنصور بابنه (جعفر بن أبي جعفر) [٦٤]. فوجد المنصور في ابنه جعفر أهلاً لولاية هذه المدينة المهمة (الموصل) وسير معه (حرب بن عبدالله الراوندي) الذي كان من أكابر قواد المنصور, فبنى حرب هذا باسفل الموصل قصراً جميلاً سكن فيه جعفر بن ابي جعفر المنصور, وفيه ولدت زبيدة بنت أبي جعفر المنصور وزوجة الرشيد [٦٥].

ويذكر ابن الاثير ان القصر الذي بناه حرب بن عبدالله كان ملكاً لهم وهو بمثابة قرية, وأنهم (أي بنو الاثير) بنو فيه رباطاً للصوفية وجعلوا واردات القرية وقفاً للرباط والجدير بالذكر ان ابن الاثير جمع الجزء الاكبر من كتاب الكامل في التاريخ في هذه القرية ولهذا يعتبرها من أنزه الموضع واحسنها [٦٦].

وتعاقب على ولاية الموصل عدة ولاة بعد ذلك ولم يجد الباحث إضافة أخرى إلى ما ذكر من النشاط العمراني الذي حصل في عهدهم سوى ما زاده المهدي سنة (١٦٧هـ/ ٧٨٣م) في المسجد الجامع بالموصل على يد واليه موسى بن مصعب عامله على الموصل حيث زاد الصفاف الدائرة بالصحن, وكان موضع الصفاف حوانيت

للمسجد وسوقاً لأهل المدينة, فأمر الخليفة المهدي بهدم جميع ذلك وأدخله إلى المسجد, وقد نقب في ذلك حجر مقابل الداخل من باب المسجد الذي يلي السوق قرأت فيه ((بركة من الله لعبد الله الامام محمد المهدي, فأجرى على يد عامله موسى بن مصعب)) [٦٧].

فضلاً عن ذلك ما تركه لنا عبد الملك بن صالح من أثر حميد في مدة ولايته للموصل في عهد الخليفتين الهادي والرشيد فقد أطاعه الناس وهابوه ولم يتاخر في اتخاذ أشد الاجراءات من اجل استتباب الأمن والنظام وانه اشتهر بالعمران حيث بنى قرية قرب الرها وعرفت باسمه (الصالحية) [٦٨].

وكان للنشاط العمراني في الموصل دور مهم جداً في اهتمامهم بالفنون المتعلقة بالبناء والعمران, فتفوقوا بها وأبدعوا فيها ولهذا برز في الموصل مهندسين ومهرة استعان بهم الخليفة ابو جعفر المنصور عندما عزم على بناء بغداد, فكان الصناع المواصلة في مقدمة المشاركين في انشاء وتجميل العاصمة الجديدة, وكذلك المأمون من بعده اختار مهرة المهندسين من الموصل, وكان منهم حرب بن محمد الطائي الموصلي [٦٩].

الخاتمة:

١- اصبحت الموصل بعد التحرير العربي الاسلامي لها احدى الولايات المهمة في عصر الخلفاء الراشدين فقام الولاة ببناء الجامع والى جانبه الامارة وبعض المنازل للنازحين إلى الموصل.

٢- لقد اتاحت المدة الطويلة التي عمل فيها هرثمة بن عرفجة البارقي كوالي من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المجال والخبرة لتحقيق الكثير من المنجزات في شتى المجالات الادارية والعمرانية, لذا اقترن أمر تخطيط الموصل وتعميرها باسم هذا الوالي.

٣- لقد نالت مدينة الموصل اهتمام الخلفاء الراشدين وخاصة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لانه رأى ما للموصل من موقع مهم فهي تقع على ملتقى طرق تصل بين جانبي الهلال الخصيب.

٤- كان للموقع الجغرافي لمدينة الموصل أهمية في دفع الخلفاء الأمويين لاتخاذها قاعدة لبلاد الجزيرة الفراتية مما جعلهم يهتمون بعمارتها وعلى أثرها توسعت العمارة فيها على مر العصور.

٥- أهتم الخلفاء الأمويين بالموصل وحرصوا على تعيين الولاة عليها بأنفسهم واهتموا بالجانب العمراني والتخطيط للمدينة.

٦- كانت اقليم الجزيرة الفراتية موضعاً للاضطرابات ومستودعاً للمتاعب ضد الدولة العباسية وكان لعدم الاستقرار هذه تأثير مباشر للنشاط العمراني لهذه الاسباب مجتمعة ولموقع مدينة الموصل الاستراتيجي ولقربها من حدود الدولة البيزنطية لهذا كله حظيت المدينة باهتمام شديد من لدن الخلفاء العباسيين وحاولوا انتهاج سياسة كسب ود اهل الموصل عن طريق تعيين ولاة قديرين معظمهم من الاسرة العباسية.

٧- كان للنشاط العمراني في الموصل دور مهم جداً في اهتمامهم بالفنون المتعلقة بالبناء والمعران, فتفوقوا بها وابدعوا فيها ولهذا برز في الموصل مهندسين ومهرة استعان بهم الخليفة ابو جعفر المنصور عندما عزم على بناء مدينة بغداد. فكان صناع المواصلة في مقدمة المشاركين في انشاء وتجميل العاصمة الجديدة.

هوامش البحث:

(١) الصائغ: سليمان, تاريخ الموصل, المطبعة السلفية, مصر ١٩٢٣م, ص٣٩-٤٠.

(٢) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر, فتوح البلدان, تحقيق رضوان محمد رضوان, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧٨, ص٣٢٧ ؛ ابن جعفر, قدامة, الخراج وصناعة الكتابة, تحقيق محمد حسين الزبيدي, دار الرشيد, بغداد, ١٩٨١, ص٣٨٢.

(٣) اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب, كتاب التاريخ, دار صادر, بيروت, بلا. ت, ١٥٤/٢؛ ابن حزم: ابو محمد بن احمد بن سعيد الاندلسي, جمهرة انساب العرب, تحقيق: عبدالسلام هارون, دار المعارف, مصر, ١٩٦٢, ص٣٦٧.

(٤) السلمان: عبدالماجود احمد, الموصل في العهدين الراشدي والاموي, مطابع جامعة الموصل, الموصل, ١٩٨٥, ص٣٦.

(٥) اليوزبكي: توفيق سلطان, نظم الحكم والادارة, موسوعة الموصل الحضارية, ط١, دار الكتب للطباعة والنشر, جامعة الموصل, الموصل, ١٩٩٢, م٢/٢٨٠.

(٦) الطبري: محمد بن جرير, تاريخ الرسل والملوك, تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم, دار المعارف, مصر, ١٩٧٩, ٣٩/٤ ؛ ابن الاثير: عزالدين ابن الحسن علي بن الكرم الشيباني الجزري, الكامل في التاريخ, دار بيروت

للطباعة والنشر, ١٩٦٥, ٢/٥٢٤ .

(٧) الملاح: هاشم يحيى, تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٢٩ .

(٨) الديوه جي: سعيد, تاريخ الموصل, مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر, جامعة الموصل, ١٩٨٢, ١/٣٠ .

(٩) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٧ .

(١٠) الطبري, تاريخ, ٤/٣٣٠؛ ابن الاثير, الكامل, ١/١٤٧ .

(١١) الملاح, تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٢٩ .

(١٢) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٧ ؛ ابن جعفر, الخراج, ص٣٨٢ .

(١٣) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/٣٠ .

(١٤) ابن الاثير, الكامل, ٣/١٤٧ ؛ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد, العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عصارهم من ذوي الشأن الأكبر, مؤسسة جمال للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٧٩, ٢/ ١٤٢ .

(١٥) الملاح, تحرير الموصل, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٣٠ .

(١٦) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/٣١ .

(١٧) اليعقوبي, تاريخ, ٢/٢٠٨, ابن جعفر, الخراج, ص١٧٥-١٧٦ .

(١٨) الحميري: محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم, الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق احسان عباس, ط٢, مطابع دار السراج, بيروت, ١٩٨٠, ص١٦٤ ؛ طه: عبدالواحد ذنون, الموصل في العهد الأموي, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٣٢ .

(١٩) الديوه جي: سعيد, اعلام الصناع المواصلة, مطبعة الجمهور, الموصل, ١٩٧٠, ص٢٢ .

(٢٠) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٧-٣٢٨ ؛ ابن جعفر, الخراج, ص٢٤٦؛ الحميري, الروض المعطار, ص٥٦٤ .

(٢١) ابن الاثير, الكامل, ٣/٢٩٠ ؛ طه, الموصل في العهد الأموي, م٢/٣٤ .

(٢٢) الأزدي: ابو زكريا يزيد بن محمد, تاريخ الموصل, تحقيق علي حبيبة, القاهرة, ١٩٦٧, ٢/٢٥ .

(٢٣) اليعقوبي, تاريخ, ٢/٢٧٢ ؛ الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/٣٩-٤٠ .

(٢٤) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٨ ؛ ابن جعفر, الخراج, ص٣٨٢ .

(٢٥) طه, الموصل في العهد الأموي, م٢/ ٣٢-٣٤ .

(٢٦) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٨ ؛ الحميري, الروض المعطار, ص٥٦٤؛ الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/٤٠ .

(٢٧) البلاذري, فتوح البلدان, ص٣٢٨ ؛ طه, الموصل في العهد الأموي, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٣٤.

(٢٨) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/ ٤٠.

(٢٩) الازدي, تاريخ الموصل, ص٣.

(٣٠) ابو يوسف: يعقوب بن ابراهيم, كتاب الخراج, مطبعة دار بو سلامة, تونس, ط١, ١٩٨٤, ص٤٣ ؛ الازدي, تاريخ الموصل, ٢/ ٣.

(٣١) طه, الموصل في العهد الأموي, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٣٤

(٣٢) الاصبهاني: ابو نعيم احمد بن عبدالله, حلية الاولياء, مطبعة السعادة, القاهرة, ١٩٣٥, ٥/ ٢٧١.

(٣٣) النقب: الثقب في أي شيء كان, وقيل النقب: الجرب عامة, انظر ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (٧١١هـ/ ١٣١١م), لسان العرب, دار صادر, بيروت, ١٩٦٦, م٣/ ٦٩٧–٦٩٨.

(٣٤) ابو يوسف, الخراج, ص٤٩ ؛ الاصبهاني, حلية الاولياء, ٥/ ٢٧١.

(٣٥) الازدي, تاريخ الموصل, ٢/ ١٥٨, ١٧٢ ؛ الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/ ٤٠–٤١.

(٣٦) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/ ٤٢–٤٣ ؛ طه, الموصل في العهد الأموي, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٣٥.

(٣٧) الازدي, تاريخ الموصل, ٢/ ٢٤.

(٣٨) القتب: بكسر القاف وسكون التاء يعني الأكاف يوضع على سنام البعير.

(٣٩) الأزدي, تاريخ الموصل, ص٢٤–٢٥ ؛ ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي, النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, مطبعة مصورة عن دار الكتب, مصر, (دت), ١/ ٢٥٩.

(٤٠) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/ ٤٣ ؛ وكتابه اعلام الصناع المواصلة, ص٢٣.

(٤١) الأزدي, تاريخ الموصل, ٢/ ٢٦–٢٧.

(٤٢) الديوه جي, اعلام الصناع الموصلة, ص٢٤.

(٤٣) الديوه جي, تاريخ الموصل, ١/ ٤٤.

(٤٤) الازدي, تاريخ الموصل, ٢/ ٣٣, ٣٥, ٤٣ ؛ ابن الاثير الكامل, ٥/ ٩٨.

(٤٥) الطبري, تاريخ, ٧/ ٢٩٨.

(٤٦) الأزدي, تاريخ الموصل, ٢/ ٦٨–٦٩.

(٤٧) الازدي, تاريخ الموصل, ٢/ ١٣٣ ؛ فوزي: فاروق عمر, الموصل ابان الحكم العباسي المباشر, موسوعة الموصل الحضارية, ط١, ١٩٩٢, م٢/ ٦٦–٦٧.

(٤٨) فوزي, العباسيون الأوائل, بيروت, ١٩٧١, ٧٦/١ .

(٤٩) فوزي, الموصل ابان الحكم العباسي المباشر, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٦٨ ؛ اليوزبكي, ادارة الموصل في الفترة العباسية الأولى, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٢٨١ .

(٥٠) فوزي, الموصل ابان الحكم العباسي, م٢/ ٧٦ ؛ اليوزبكي, ادارة الموصل في الفترة العباسية, م٢/٢٨٢ .

(٥١) وهي مدينة على دجلة فوق تكريت (سن بارما) بكسر السين وتشديد النون وكسر الميم, أنظر الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله, معجم البلدان, مطبعة دار صادر, بيروت, ١٩٥٧, ١٥٣/٥–١٥٤ .

(٥٢) الأزدي, تاريخ الموصل, ٢١٦/٢ .

(٥٣) الازدي, تاريخ الموصل, ٢٤٣/٢ .

(٥٤) الأزدي, تاريخ الموصل, ٢٥٨/٢ .

(٥٥) اليوزبكي, ادارة الموصل في الفترة العباسية الأولى, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/٢٨٢ .

(٥٦) الأزدي, تاريخ الموصل, ٢٨٦/٢–٢٨٩ .

(٥٧) فوزي, الموصل ابان الحكم العباسي المباشر, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٧٧ .

(٥٨) الازدي, تاريخ الموصل, ١٥٦/٢ .

(٥٩) الازدي, تاريخ الموصل, ١٥٦/٢ .

(٦٠) الازدي, تاريخ الموصل, ١٦٦/٢ .

(٦١) الأزدي, تاريخ الموصل, ١٦٦/٢–١٦٧, ١٩٧ . الديوه جي, تاريخ الموصل, ٦٠/١–٦٢ .

(٦٢) الطبري, تاريخ, ٤٩٦/٧ .

(٦٣) اليوزبكي, ادارة الموصل في الفترة العباسية الأولى, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٢٨٢ .

(٦٤) الأزدي, تاريخ الموصل, ١٧٨/٢, ١٨٠ . ابن الاثير, الكامل, ٥١١/٥ .

(٦٥) الازدي, تاريخ الموصل, ١٩٤/٢, ١٩٧ . الديوه جي, تاريخ الموصل, ٦٣/١ .

(٦٦) ابن الاثير, الكامل, ٥١٢/٥ .

(٦٧) الازدي, تاريخ الموصل, ٢٤٨/٢ .

(٦٨) الازدي, تاريخ الموصل, ٢٥٧/٢, ص٢٦٢–٢٦٧ . فوزي, الموصل ابان الحكم العباسي المباشر, موسوعة الموصل الحضارية, م٢/ ٧٨ .

(٦٩) الحموي, معجم البلدان, ٢٣١/٢–٢٣٣ . الديوه جي, اعلام الصناع المواصلة, ص٢٤ .